تَمامُ النُّصْحِ والعِنايَةِ فِي بَيان لِقائِي مَعَ فَضيلَةِ الشَّيْخ رَبيع حَفِظَهُ الله تَعَالَى حَوْلَ مَقَالِي نَصْب الرَّايَة

كَتَبَهُ

أبو معاذ رائد آل طاهر

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

تَمامُ النُّصْحِ والعِنايَةِ فِي بَيان لِقائِي مَعَ فَضيلَةِ الشَّيْخ رَبيع حَفِظَهُ الله تَعَالَى حَوْلَ مَقَالِي نَصْب الرَّايَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَنْ سار على نهجه إلى يوم الدِّين؛ أما بعد:

فقد كتبتُ مقالاً قبل فترة قريبة في شبكة سحاب بعنوان [نصب الراية في دراسة لفظة "لم يعملوا خيراً قط" الواردة في حديث الشفاعة رواية ودراية][(١)].

وخلاصة ما ورد فيه:

١- إنَّ لفظة "لم يعملوا خيراً قط" ثابتة في حديث الشفاعة من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فلا مجال للطعن فيها ولا للتشكيك.

٢- إنَّ معناها باقٍ على ظاهرها عند أهل العلم، فلا مجال للتأويل ولا الاحتمال.

٣- إنَّ القول بأنَّ إجماع أهل العلم على تكفير تارك عمل الجوارح بالكلية يعارض ظاهر هذه اللفظة، هذا القول لا يصح، لأنَّ الإجماع مجرد دعوى لا برهان عليه.

---

(١) الكتاب متوفر على الرابط التالي:
https://ia801902.us.archive.org/7/items/NasebAlRayah/NasebAlRayah.pdf

٤- إنَّ اتهام مَنْ لا يكفِّر تارك عمل الجوارح بالكلية بالإرجاء أو إنه قال بقولهم أو وافق مذهبهم غلطٌ بيـِّن.

إلى غير ذلك من محاور الرسالة وفروعها.

فلما رأى (بعض) المشاغبين وجود هذا المقال في الشبكة على خلاف ما يهواه سارع إلى طلب حذفه؛ فحُذف المقال من لحظته، مع الأسف الشديد.

ثم أعاد مشرف الإسلامي المقال من جديد، فإذا بالحدادية الجدد -الذين يظهرون السلفية هنا ويظهرون الحدادية في شبكاتهم ومنتدياتهم الخاصة بهم!!- يُعلِّقون على المقال وعلى مَنْ أيَّده ومَنْ أرجعه بأسوء العبارات!، واتهموا صاحب المقال بنصرة مذهب الإرجاء، ولما كثر لغطهم وتشغيبهم اضطر البعض إلى حذف الموضوع من جديد، والله المستعان.

والحمد لله تعالى أن يسَّر لي عمرة في شهر رجب الحالي لعام ١٤٣١هـ؛ أسأل الله تعالى أن يتقبَّلها مني بمنه وكرمه.

ثم يسَّر لي ربي مع اثنين من إخواني الفضلاء -الأخ حردان والأخ صهيب- اللقاء مع فضيلة العلامة الشيخ ربيع حفظه الله تعالى في بيته ثلاثة أيام، وقد استقبلنا الشيخ حفظه الله تعالى ورحَّب بنا وأكرمنا.

وقد كان خلاصة ما جرى في الأيام الثلاثة:

اليوم الأول: تعرَّف علينا الشيخ حفظه الله تعالى وسأل عن أحوالنا، ثم تكلَّم حفظه الله تعالى كلمة موجزة في ضرورة التحذير من مسلكين:

الأول: **منهج الحدادية**؛ أهل الغلو، الذي بلغ الأمر بأصحابه إلى اتهام أئمة السلفيين من المتقدمين والمتأخرين بالإرجاء في مسألة تارك العمل ومسائل الإيمان.

والثاني: **منهج المميعة؛** أهل المنهج الواسع الأفيح، الذي بلغ الأمر بأصحابه إلى الثناء والدفاع والنصرة لفكرة وحدة الأديان والتقريب بين الطوائف والفرق.

ثم نصح الشيخ حفظه الله تعالى الحاضرين بالعلم والاعتصام بالسنة ونصرتها.

ثم دعانا الشيخ حفظه الله تعالى إلى حضور العشاء في بيته في اليوم التالي.

اليوم الثاني: أعطيتُ إلى الشيخ حفظه الله تعالى مقالي [نصب الراية]، فإذا بالشيخ يؤيِّد بقوة وحزم -لا كما يشاع عنه!- أنْ لا إجماع ثابت في تكفير تارك عمل الجوارح بالكلية، وأنَّ جمهور أهل السنة والحديث لا يكفِّرون تارك عمل الجوارح بالكلية، واستدل الشيخ حفظه الله تعالى بكلام الإمام ابن نصر المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة.

وسألني حفظه الله تعالى: هل ذكرتَ في كتابك هذا [نصب الراية] أقوال الأئمة السابقين في عدم تكفير تارك عمل الجوارح؟

فقلتُ: لا يا شيخ؛ لأنَّ مقالي خاص في الكلام عن لفظة "لم يعملوا خيراً قط" من حيث السند والمعنى.

فقال: لا، أضف إليه أقوال أهل العلم السابقين في عدم تكفير تارك العمل.

ثم دار الكلام بين الشيخ حفظه الله تعالى وبيني حول كلام الإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد: ((هذه اللفظة: "لم يعملوا خيراً قط" من الجنس الذي تقوله العرب بنفي الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام، فمعنى هذه اللفظة على هذا الأصل: لم يعملوا خيراً قط على التمام والكمال، لا على ما أُوجب عليه وأُمر به، وقد بينتُ هذا المعنى في مواضع من كتبي)).

فالشيخ حفظه الله تعالى يرى أنَّ الإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى في كلمته ((فمعنى هذه اللفظة على هذا الأصل: لم يعملوا خيراً قط على التمام والكمال)) يريد بها عمل الجوارح، وأنَّ ابن خزيمة يذهب إلى تأويل لفظة "لم يعملوا خيراً قط" عن ظاهرها.

ويرى أنَّ هذا خطأ من ابن خزيمة، وأنه مخالف لما قاله نفسه في أبواب أخرى من كتابه التوحيد، مثل: ((باب: "ذكر البيان أنَّ النبي يشفع للشاهد لله بالتوحيد؛ الموحِّد لله بلسانه إذا كان مخلصاً ومصدقاً بذلك بقلبه، لا لمن تكون شهادته بذلك منفردة عن تصديق القلب"))، ((باب: ذكر خبر دال على صحة ما تأولتُ: إنما يخرج من النار شاهد أن لا إله إلا الله إذا كان مصدقاً بقلبه بما

شهد به لسانه؛ إلا أنه كنَّى عن التصديق بالقلب بالخير، فعاند بعض أهل الجهل والعناد وادَّعى أنَّ ذكر "الخير" في هذا الخبر ليس بإيمان، قلة علم بدين الله وجرأة على الله في تسمية المنافقين مؤمنين)).

وأنَّ الخروج من النار يكون بكلمة التوحيد وأصل إيمان القلب، لا بيسير عمل الجوارح!.

وقد كنتُ وجَّهتُ كلام الإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى في مقالي [نصب الراية] فقلتُ: ((فالإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى بقوله: "لم يعملوا خيراً قط على التمام والكمال" أراد أن يدفع ما يتوهمه أو يدَّعيه البعض أنَّ نفي الخير يدخل فيه إيمان القلب!؛ وأنَّه يكفي في الشفاعة إقرار اللسان فقط!!، وهذا واضح من الأبواب التي بوَّبها قبل حديث أبي سعيد؛ فلا ينبغي أن نُحمِّل كلامه ما لا يحتمل وننسب له ما لا يُريد، ولا أن نستدل بكلامه في غير محله!!)).

ذلك لأنَّ مرجئة الكرامية كانوا يقولون بنجاة مَنْ آمن بلسانه وإنْ لم يوجد في قلبه إيمان، ومما يستدلون به هذه اللفظة "لم يعملوا خيراً قط"، حيث فهموا أنَّ المنفي الخير كله في القلب وعلى الجوارح!، ومنه: أصل الإيمان الذي في القلب، وهذا قول باطل واستدلال عاطل، فأخبر الإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى أنَّ الخير المنفي لا يشمل أصل الخير أو الإيمان الذي في قلب الموحِّد، وإنما ما زاد على ذلك.

ثم بعد ذلك:

أطلعني الشيخ حفظه الله تعالى على أبواب من كتاب التوحيد لابن خزيمة تبين أنَّ الخروج من النار يكون بأصل الإيمان لا بعمل الجوارح.

ثم أطلعني حفظه الله تعالى على كلام الإمام ابن نصر المروزي رحمه الله تعالى في تعظيم قدر الصلاة، مؤكِّداً أنَّ قول جمهور أهل الحديث لا يكفِّرون تارك عمل الجوارح؛ سواء كانوا منهم الذين يفرقون بين الإسلام والإيمان أو لا يفرقون، والمفرِّقون طائفتان: منهم مَنْ يسمي فاعل الكبيرة وتارك العمل الواجب مسلماً فاسقاً بكبيرته، ومنهم مَنْ يسميه مسلماً كافراً من حيث العمل، والطائفة الثالثة: الذين لا يفرقون بين الإسلام والإيمان، وهم الذين يسمونه مسلماً مؤمناً من حيث الأصل.

ثم أعطاني الشيخ حفظه الله تعالى رسالة بعنوان [**قضاء على فتنة رمي أهل السنة بالإرجاء**] لأحد إخواننا من طلبة العلم، والرسالة موجودة في شبكة سحاب، وهي عبارة عن جمع لكلام أهل العلم المتقدمين والمتأخرين ممن لا يكفِّرون تارك عمل الجوارح.

وقال لي الشيخ: اقرأ هذه الرسالة، واستفد منها، ثم ضم هذه النقول التي فيها إلى كتابك [نصب الراية].

ووعدني الشيخ أنه سيقرأ رسالتي.

وانتهت هذه الجلسة على ذلك؛ وقد حضرها الأخوان الفاضلان أحمد الزهراني وعبد الله مهاوش وفقهما الله تعالى.

اليوم الثالث: طلب الشيخ حفظه الله تعالى من أخينا المفضال عبد الله مهاوش أن يحضرنا إليه، فلما التقينا بالشيخ حفظه الله تعالى، سألني: هل قرأتَ الرسالة التي أعطيتها لك؟

فقلتُ: نعم يا شيخ.

فقال: هل استفدتَ منها؟

فقلتُ: كثيراً.

فقال: الحمد لله.

ثم قال لي: قرأتُ كتابك [نصب الراية] وقد اتعبني بسبب صغر حجم الخط!.

وقد علَّق الشيخ حفظه الله تعالى على حواشي الرسالة ببعض التوجيهات كما سيأتي بيانه.

ثم طلب مني حفظه الله تعالى أن أكمل الرسالة قراءة عليه، فقرأتُ عليه – من حيث انتهى حفظه الله تعالى– كلام المعاصرين من أهل العلم في توجيه لفظة

"لم يعملوا خيراً قط"؛ وأنَّ المراد بهم: مَنْ نطق بالشهادتين ولم يتمكن من العمل فقتل أو مات على ذلك.

فاستغرب الشيخ حفظه الله تعالى هذا الكلام واستنكره بشده، وقال: هذا رجل من أهل الجنة، كيف يكون ممن يخرج من النار بالشفاعة؟!

أم كيف يكون من أدنى الناس إيماناً؟!

وقال حفظه الله تعالى: العلماء إذا وصلوا إلى الكلام في حديث الشفاعة يمرونه ولا يؤولونه، حتى ابن نصر المروزي الذي يكفر تارك الصلاة، يمر على حديث الشفاعة ولا يتأوله.

ثم لما سمع قول بعض المعاصرين بأنَّ الاستدلال بحديث الشفاعة على عدم تكفير تارك العمل من اتباع المتشابه ومن طريقة أهل الزيغ!!.

استغرب الشيخ حفظه الله تعالى أكثر، وقال: بل الاستدلال به طريقة السابقين وهم جمهور أهل الحديث، وحديث الشفاعة نص محكم وليس من المتشابه.

ثم طلب مني الشيخ حفظه الله تعالى -بسبب ذلك!- حذف كلام المعاصرين كله، والاكتفاء بكلام الأئمة السابقين؛ لأنَّ كلامهم حجة على مَنْ بعدهم.

ولما قلتُ للشيخ: إنَّ البعض يدَّعي أنَّ ثمة إجماع في <u>تكفير تارك عمل الجوارح؟</u>

سارع الشيخ بقوله: لا يوجد إجماع، جمهور أهل الحديث لا يكفِّرون تارك عمل الجوارح.

ولما قلتُ له: البعض يستدل بكلامكم حين علَّقتم على الصورة التي ذكرها الشيخ حمد العتيق في كتابه [تنبيه الغافلين إلى إجماع المسلمين على أنَّ ترك جنس العمل كفر في الدين] حيث قلتم: ((وفي هذه الأيام كتب أخونا حمد بن عبد العزيز العتيق مقالاً تحت عنوان "تنبيه الغافلين إلى إجماع المسلمين على أنَّ ترك جنس العمل كفر في الدين"، فشرعت في قراءته إلى أن وصلت إلى الصحيفة الخامسة فإذا فيها: "الفصل الثالث: ترك جنس العمل كفر أكبر؛ المبحث الأول: صورة المسألة هي: في رجل نطق بالشهادتين ثم بقي دهراً لم يعمل خيراً مطلقاً لا بلسانه ولا بجوارحه ولم يعد إلى النطق بالشهادتين مطلقاً مع زوال المانع". فقلت: إنْ كان المراد بجنس العمل هذه الصورة؛ فإني لا أتردد ولا يتردد مسلم في تكفير من هذا حاله، وأنه منافق زنديق، إذ لا يفعل هذا من عنده أدنى حد للإيمان)).

فقال الشيخ حفظه الله تعالى: هذا إنما قلتُه لعدم تصور وقوع مثل هذه الحالة!، يعني رجل نطق بالشهادتين ثم لا يعود للنطق بها مرة أخرى!، وبقي دهره لا يعمل شيئاً لا بلسانه!، ولا بجوارحه!، فهذا قلتُه لأنه لا يتردد أحد في كون هذا منافق وزنديق، وهي صورة مستحيلة، لا لمجرد كونه ترك عمل الجوارح.

ثم وجَّهني الشيخ حفظه الله تعالى إلى أشياء أخرى:

١- تكبير حجم الخط، وتكبير أبعاد الصفحة من جهاتها الأربعة، ليسهل قراءة الكتاب والتعليق عليه.

٢- وضع فهرس للكتاب؛ يسهِّل إيجاد ما فيه من محاور ومواضيع.

٣- ذكر مصدر الحديث عند العزو بالباب والجزء والصفحة ورقم الحديث.

٤- الإحالة إلى الطبعات المعتمدة للكتب.

٥- بيان أنَّ حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة وهو في صحيح مسلم يعضد هذه الزيادة.

٦- طلب الشيخ إضافة كلام ابن نصر المروزي والذي ينقله عن طوائف أهل الحديث الثلاثة.

٧- طلب مني الشيخ حفظه الله تعالى إضافة كلام الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وبعض أحفاده وطلابه الذين صرَّحوا بعدم التكفير إلا بترك الشهادتين.

٨- وطلب مني الإجابة عن بعض النقول التي يستدل بها البعض على دعوى الإجماع على تكفير تارك عمل الجوارح، مثل كلام الشافعي وإسحاق بن راهويه وغيرهم.

٩- طلب الشيخ مني ترك الاستدلال بكلام ابن حزم والنووي والقاضي عياض والقرطبي؛ لعدم النفع في نقض دعوى المعاصرين، لأنهم سيردون بكون هؤلاء قد خالفوا معتقد أهل الحديث في بعض الأصول!.

١٠- طلب الشيخ مني التنبه إلى بعض الأخطاء المطبعية والنحوية وتصحيحها.

ثم دعا لنا الشيخ حفظه الله تعالى واستودعنا، وكان في هذه الجلسة الأخ الفاضل عبد الله مهاوش وفقه الله تعالى وثلاثة من إخواننا الفضلاء حردان وصهيب وأخ لبناني.

وهذا هو خلاصة ما جرى من لقاء بيننا وبين الشيخ ربيع حفظه الله تعالى، وأسأل الله تعالى أن يبارك في عمره في نصرة المنهج السلفي، وأن يجعله سدًّا منيعاً في وجه الحدادية والمميعة.

ومن هذا اللقاء:

- عرفتُ يقيناً أنَّ مذهب الشيخ حفظه الله تعالى في مسألة تارك عمل الجوارح بالكلية عدم التكفير، لا كما ينقل عنه البعض ويشاع.

- والشيخ حفظه الله تعالى ينكر وجود إجماع على تكفير تارك عمل الجوارح بالكلية، ويعتقد أنَّ جمهور أهل الحديث لا يكفِّرون تارك عمل الجوارح بالكلية.

- والشيخ يستنكر بشدة قول مَنْ يتهم مَنْ لا يكفر تارك عمل الجوارح بالكلية بالإرجاء، ويصفهم تارة بالخوارج!، وتارة بالحدادية، وأما العلماء المعاصرون الذين يقولون ذلك؛ فيقول عنهم أنهم مجتهدون مخطئون، وأنَّ الحجة فيمن سبقهم من أئمة السلف.

- والشيخ يعتقد أنَّ الاستدلال بلفظة "لم يعملوا خيراً قط" على عدم تكفير تارك عمل الجوارح بالكلية من الاستدلال بالمحكم من النصوص، وأنَّ أهل الحديث استدلوا بها على ذلك، وأنها على ظاهرها كما يدل على ذلك سياق حديث الشفاعة.

- موافقة الشيخ ربيع حفظه الله تعالى للشيخ الألباني رحمه الله تعالى في طريقة الاستدلال بحديث الشفاعة في موضوع تارك الصلاة، وأنهم أُخرجوا في الفوج الأول.

- كما عرفتُ حرص الشيخ حفظه الله تعالى على نصرة الحق لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يضره مَنْ خالفه ولا مَنْ خذله.

- وعرفت مدى عناية الشيخ حفظه الله تعالى بطلاب العلم في وقته وبيته وماله مع شدة مرضه وكبر سنه.

وكذا سعة تواضعه حفظه الله تعالى وحرصه على الدعوة السلفية في جميع بلاد المسلمين.

وكذا غيرته في نصرة إخوانه من علماء السلف، وتسليمه للنصوص وتعظيمها وعدم المبالاة لآراء الرجال التي تخالفها.

ووالله؛ صفات حميدة كثيرة في الشيخ، استفدتُ منها، أسأل الله تعالى أن يختم لنا وله بالحسنى.

- وتعلمتُ من الشيخ حفظه الله تعالى أيضاً الدقة في الكتابة والتحقق، والتثبت في النقل ونسبة الأقوال والمذاهب إلى أصحابها.

فجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ونفع بعلومه وبارك في صحته وعمره.

وسوف آخذ بتوجيهات الشيخ حفظه الله تعالى التي علَّق بها على رسالتي [نصب الراية].

ثم أحاول عرضها بعد التعديل من جديد على الشيخ إنْ سمح بذلك، ثم أنشره من جديد.

والله الموفِّق، وله وحده الحمد والمنَّة.

كتبه

أبو معاذ رائد آل طاهر